قال لما احتضر رسول الله عليه السلام وفي البيت رجال فقال النبي عليه السلام هلموا
أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله عليه السلام قد غلبه الوجع
وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له
أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه أن النبي
عليه السلام يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر وفيه فقال عمر إن النبي عليه السلام
قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي
رواية اختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول
الله عليه السلام كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي عليه
السلام غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع
وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما
يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام و
على هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا
إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على
طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع
الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا
ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث
سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام و
التقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم
ما شاهد من حال الرسول عليه السلام وشدة وجعه وهول المقام الذي قد
اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه
وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق
على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا وأما على رواية أهجرا
وهي رواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن عباس في رواية قتيبة

فقد

فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده عليه السلام ومخاطبة لهم من
بعضهم أي جئتم باختلافكم إلى الرسول عليه السلام وبين يديه هجرا ومنكرا
من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام بأن يأتوه بالكتاب فقال بعض
بعضهم أوامر النبي عليه السلام يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر
من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم
دع وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من
صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا وقد يكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي عليه السلام
من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة في ذلك كما قال إن النبي
اشتد به الوجع وقيل خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج با
بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر و
سيسى طلب الثواب فيكون للمصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر الشرع وتأ
الملة وقال الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقال عليه السلام أوصيكم بكتاب الله و
عترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي عليه السلام وقد قيل إن
عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن
يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة بالوصية وغير ذلك وقيل إنه كان
من النبي عليه السلام لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون
فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي عليه السلام كان مجيبا
في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القضية بقول
العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله عليه السلام فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني فإن الذي أنا فيه خير من
إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابه